نزار قباني

# كتاب الحب
# و
# بلقيس

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

نزار قباني

# كتاب الحب



إلى زوجتي الغالية

بلقيس

رفيقة العمر

ورفيقة الشعر

نزار.

(كتاب الحب ) محاولة لكتابة القصيدة العربية بشكل جديد ، وإلباسها ثوباً عصريّاً ومريحاً وعمليّاً، بعد أن أرهق جسد القصيدة العربية طوال عصور بأثواب مفرطة في طولِها واتساعها ورداءة قصتها.

والواقعُ أن القطاعَ الأكبر من شعرنا العربي التقليدي استهلك من القماش اللغوي ما يكفي لكساء كل سكان الصين...

هذا التبذير في استعمال اللغة إلى درجة الإنهاك ، جعل

قصائدنا -كعباءتين - لا يسكن فيهما جسد صاحبها فحسب، وإنما جسد القبيلة كلها.

ويا طالما بحثت منذ أن بدأت في كتابة الشعر ، عن معادلة شعرية يكون فيها اللابس والملبوس قطعة واحدة ليس فيه أنتَ وأنتِ ، ولا حواشي . ولا زوائد بلاغية متهدلة .

كنت دائماً أحلم بشعر عربي تكون فيه مساحة الكلمة بمساحة الانفعال ، وحجم الصوت الشعري بحجم فم الشاعر .. وبحجم هواجسه.

كنت أؤمن أن الشعر لمطّ صوته بطريقة مسرحية ، ومدّ انفعاله على سطح أوسع يخرجه من حديقة الشعر ويدخله في سراديب الثرثرة الشعرية.

الثرثرة الشعرية هي فجيعة شعرنا العربي .. ونظرة

واحدة إلى أهرامات القصائد العربية القديمة توضح لنا أننا تكلمنا أكثر من اللازم..

الشعر هو خلاصة الخلاصة .. كما قلت.

لذلك كان أعظم الشعراء هم أولئك الذين كتبوا بيت شعر واحداً .. وماتوا بعد كتابته مباشرة..

ليس من وظيفة الشعر أن يشرح كل شيء وبكلمة أدق .. أن يقتل كل شيء..

الشرح الطويل عمل من أعمال الببغاوات ، والعجائز، ونشرات الأخبار..

وظيفة الشعر هي أن يعطيك بطاقة سفر .. دون أن يتدخل في تفاصيل الرحلة ، ومواعيد القطارات التي ستركبها ، وأسماء الفنادق التي ستنزل فيها..

وظيفة الشعر .. هي أن يضع أمامك الزجاجة

والكأس .. ويتركك تسكر على طريقتك..

وظيفة الشعر أن يضع في إصبعك خاتم سليمان .. وعليك أنت أن تستحضر المارد .. وتطلب منه ما تريد من لبن وعسل وحوريات..

اللعبة الشعرية .. لعبة إشارات ضوئية . واللاعب الكبير فيها هو الذي يحتفظ بالقدرة على الصمت ويعرف متى يلقي ورقة الدهشة.

الكلام الكثير على طاولة الشعر .. كالكلام الكثير على طاولة القمار .. لا يجلب سوى الخراب.

الكلام الكثير فيه مقتلنا .. هذا شيء معروف . ومعروف أيضاً ، أن القصائد الأكثر فشلاً في تاريخنا الشعري هي القصائد التي تحولت إلى نوع من الجرائد اليومية .. إلى نوع من أجهزة الإعلام . هي القصائد التي

تعطل جهاز الرقابة الداخلية فيها.

*

في هذا الكتاب تؤدي اللقطة الشعرية عمل جهاز الإضاءة الـ Flash في كاميرا التصوير .. ويصبح الشعر إضاءة سريعة عمرها ثانية أو جزء من أجزاء الثانية.

اللحظة الشعرية هنا .. برق .. ورفة جفن .. والتماعة سيف . إنها طيران عصفور.

ربما لم يتعود القارئ العربي المرتبط تاريخيّاً ووراثيّاً بالألفيات ، والمعلقات..

على طيران العصافير .. هذا لا يهم . إنه سيتعود عليه..

ومثلما قبل الذوق العربي ، تلك الثورة المدهشة التي قام بها الشعر العربي على نفسه ، خلال العشرين عاماً

الأخيرة وغير بها جلده وثيابه .. فإنه سيرحب حتماً بكل حركة شعرية تزيد ارتباطه بالعصر.

من ذا الذي يرفض وثوب الخيل .. وطيران العصافير؟

*

والحب في قصائد هذا الكتاب ليس الحب القديم الذي يقف أمام خيمة الحبيبة ، أو تحت شباكها عشر ساعات .. حتى تمل الحبيبة .. ويمل الشباك..

الحب هنا ، بحمل كل ملامح عصرنا من سرعة وإيجاز .. وتوتر .. وكثافة..

الحب هنا ، ليس لديه الوقت لكتابة المكاتيب .. وفتح الفناجين .. إن يستعمل الأسلوب البرقي في مخاطبة الحبيبة..

لغة العشق في هذا الكتاب مكثفة ومضغوطة كما لم يحدث في تاريخ العشق وتاريخ البوح..

وربما قصدت من كتابة هذا الكتاب ، أن يكون قاموساً موجزاً وعصرياً للعشق ، يرجع إليه العشاق المعاصرون ليتعلموا منه كيف يقولون بكلمة واحدة .. ما كانوا يقولونه لحبيباتهم بكلمات..

## قاموس العشق

قد أكون طموحاً أكثر من اللازم ، ومغروراً أكثر من اللازم..

ولكنني لا أتراجع عن أحلامي بسهولة . فأنا منذ طفولتي أحلم بكتابة ( نشيد إنشاد ) يحمل توقيعي .. وقد ظللت أطارد هذا الحلم حتى حولته إلى حقيقة .. من الحبر
و الورق..

*

وبعد ، فهذا هو (نشيد إنشادي.. )

وأقول لكم ، بكل صدق وصفاء ، إنه أتعبني واستهلكني . لقد اشتغلت عليه كما لم أشتغل على أي

كتاب صدر لي من قبل.

مزقت عشرات المسودات ، ورميت عشرات التصاميم التي لم تكن على درجة من التركيز والكثافة تسمح لها بدخول هذا الكتاب المكون بالغرابة.

إن قصيدة تتألف من بيتين .. كانت تأخذ مني شهرين من العمل . ومن خلال عملية الشطب ، والقص ، والتمزيق .. عرفت وجعاً جديداً لم أعرفه في كل تاريخي الشعري . إنه وجع الإيجاز .. وجع إدخال الحياة كلها في خرم إبرة..

هذا هو نشيد إنشادي أتركه على وسائد المحبين .. وأطفئ القنديل..

وأنسحب.

- ١ -

ما دمت يا عصفورتي الخضراءْ

حبيبتي

إذن .. فإنا . في السماءْ

نزار.

- ٢ -

تسألني حبيبتي:

ما الفرقُ بيني وما بين السما ؟

الفرق ما بينَكما

أنك إن ضحكت يا حبيبتي

أنسى السما

- ٣ -

الحبُّ يا حبيبتي

قصيدةٌ جميلة مكتوبة على القمر

الحبُّ مرسوم على جميع أوراقِ الشجر

الحبُّ منقوشٌ على..

ريشِ العصافيرِ ، وحبات المطرْ

لكن . أي امرأةٍ في بلدي

إذا أحبتْ رجلا.

تُرْمَى بخمسين حجر..

- ٤ -

حين أن سقطتُ في الحب

تغيرتْ..

تغيرتْ مملكة القلب

صار الدجى ينام في معطفي
وتشرق الشمسُ من الغربْ..

- ٥ -

يا رب . قلبي لم يعد كافياً
لأن من أحبُّها .. تعادلُ الدنيا
فضع بصدري واحداً غيرَه
يكونُ في مساحة الدنيا

- ٦ -

مازلت تسألني عن عيدِ ميلادي
سجل لديكَ إذن .. ما أنت تجهلُه
تاريخ حبِّك لي .. تاريخ ميلادي

- ٧ -

لو خرج المـاردُ من قمقمه

وقال لي : لبيك
دقيقة واحدة لديك
تختار فيها كلَّ ما تريده
من قطع الياقوتِ والزمردْ
لاخترت عينيْك .. بلا ترددْ..

- ٨ -

ذات العينين السوداوين
ذات العينينِ الصاحيتين الممطرتين
لا أطلبُ أبداً من ربي
إلا شيئين؟..
أن يحفظ هاتين العينين
ويزيد بأيامي يومينْ
كي أكتب شعرًا

في هاتين اللؤلؤتين..

- ٩ -

لو كنت يا صديقتي

بمستوى جنوني..

رميتِ ما عليك من جواهر

وبعتِ ما لديك من أساور

ونمتِ في عيوني

- ١٠ -

عِدي على أصابعِ اليدين ، ما يأتي

فأولاً : حبيبتي أنتِ

وثانياً : حبيبتي أنتِ

وثالثاً : حبيبتي أنتِ

ورابعاً وخامسًا

وسادساً وسابعًا

وثامناً تاسعًا

وعاشراً .. حبيبتي أنتِ..

- ١١ -

لأن كلامَ القواميس ماتْ

لأن كلامَ المكاتيبِ ماتْ

لأن كلامَ الروايات ماتْ

أريد اكتشافَ طريقةَ عشقٍ

أحبُّك فيها .. بلا كلماتْ

- ١٢ -

أنا عنكِ ما أخبرتهم .. لكنهم

لمحوك تغتسلين في أحداقي

أنا عنك ما كلمتُهم .. لكنهم

قرأوك في حبرِي وفي أوراقي
للحب رائحةٌ .. وليس بوسعِها
أن لا تفوحَ .. مزارعُ الدراق

- ١٣ -

أكره أن أحبَّ مثلَ الناس
أكره أن أكتبَ مثلَ الناس
أود لو كان فمي كنيسةً
وأحرفي أجراسْ..

- ١٤ -

أشكوك للسماءْ
أشكوك للسماءْ
كيف استطعت كيف ، أن تختصري
جميعَ ما في الأرض من نساءْ

- ١٥ -

ذوبتُ في غرامِك الأقلام

من أزرق .. وأحمر .. وأخضر ..

حتى انتهى الكلامْ

علقت حبي لك في أساورِ الحمامْ

ولم أكنْ أعرفُ يا حبيبتي

أن الهوى يطيرُ كالحمامْ

- ١٦ -

حبك يا عميقةَ العينينْ

تَطَرُّفٌ

تصوف

عبادةٌ

حبك مثلَ الموت والولادةِ

صعب بأن يعاد مرتينْ

- ١٧ -

عشرين ألفَ امرأةٍ أحببتْ..

عشرين ألفَ امرأةٍ جربت

وعندما التقيت فيك يا حبيبتي

شعرت أني الآن قد بدأتْ..

- ١٨ -

لقد حجزتُ غرفةً في بيتِ القمر

نقضي فيه نهايةَ الأسبوعِ يا حبيبتي.

فنادقُ العالمِ لا تعجبني

الفندقُ الذي أحب أن أسكنه هو القمرْ

لكنهم هناك يا حبيبتي

لا يقبلون زائراً يأتي بغيرِ امرأةٍ..

فهل تجيئين معي..

يا قمري .. إلى القمرْ ؟

- ١٩ -

لن تهربي مني .. فإني رجلٌ مقدَّر عليكِ..

لن تخلصي مني .. فإن ا لقدرَ أرسلني إليكِ..

فمرة .. أطلع من أرنبتي أذنيكِ

ومرة أطلعُ من أساورِ الفيروز في يديك

وحين يأتي الصيفُ يا حبيبتي

أسبحُ كالأسماكِ في بحيرتي عينيكِ

- ٢٠ -

لو كنت تذكرين كلَّ كلمة

لفظتُها في فترةِ العامين

لو أفتحُ الرسائلَ الألف .. التي

كتبتُ في عامين كاملين
كنا بآفاقِ الهوى
طِرنا حمامتين
وأصبح الخاتمُ في
إصبعك الأيسر .
خاتمين

- ٢١ -

لماذا .. لماذا .. منذ صرتِ حبيبتي
يضيء مدادي .. والدفاترُ تَعْشُب
تغيرت الأشياءُ منذ عشقتني
وأصبحتُ كالأطفالِ .. بالشمسِ ألعب
ولست نبيّاً مرسلا . غير أنني
أصير نبيا .. عندما عنك أكتبُ.

- ٢٢ -

أحببتْني شاعراً طارت قصائدُه
فحاولي مرةً أن تفهمي الرجلا
وحاولي مرةً أن تفهمي مللي
قد يعرفا في فردوسه المللا.
لي شهوتي مثلما للناسِ شهوتُهم
ولست رجلًا خرافياً ولا بطلا..

- ٢٣ -

محفورةْ أنت على وجهِ يدي..
كأسطرِ كوفيهْ
على جدارِ مسجدٍ..
محفورةٌ في خشبِ الآرمي .. يا حبيبتي
وفي ذراعِ المقعدِ..

وكلما حاولتِ أن تبتعدي

دقيقةً واحدة

أراك في جوفِ يدي..

- ٢٤ -

لا تحزني..

إن هبطَ الرُّوادُ في أرضِ القمرْ

فسوف تبقين بعيني دائماً

أحلى قَمَرْ..

- ٢٥ -

حين أكونُ عاشقاً

أشعرُ أني ملكُ الزمانِ

أمتلكَ الأرضَ وما عليها

وأدخل الشمسَ على حصاني

- ٢٦ -

عاشقاً حينَ أكون

أجعلُ شاه الفرسِ من رعيتي

وأُخضعُ الصينَ لصولجاني

وأنقلُ البحارَ من مكانِها

ولو أردتُ أوقف الثواني

- ٢٧ -

عاشقاً حينَ أكون

أصبحُ ضوءاً سائلا.

لا تستطيعُ العينُ أن تراني

وتصبح الأشعارُ في دفاتري

حقول ميموزا وأقحوانِ

- ٢٨ -

عاشقًا حين أكون
تتفجر المياهُ من أصابعي
وينبتُ العشبُ على لساني
حين أكونُ عاشقًا
أغدو زماناً خارجَ الزمانِ

- ٢٩ -

إني أحبُّك عندما تبكينا
وأحبُّ وجهَك غائماً وحزينا
الحزنُ يصهرنا معًا ويذيبُنا
من حيث لا أدري ولا تدرينا
تلك الدموعُ الهامياتُ أحبُّها
وأحبُّ خلفَ سقوطِها تشرينا

بعضُ النساءِ وجوهُهن جميلةٌ
وتصير أجملَ .. عندما يبكينا

- ٣٠ -

عُمر وجهي..
مثلُ عمرِ الأرضِ .. آلاف العصور
عُمر حز ني
مثل عُمرا .. . أو عمر البحور
يومَ ميلادي ، أنا أجهلُه
فالذي يُحسبُ يا سيدتي
ليس عمري .. إنما عمر شعوري

- ٣١ -

أخطأتِ يا صديقتي بفهمي..
فما أعاني عقدةً

ولا أنا أوديبُ في غرائزي وحلمي

لكنْ كلُّ امرأة أحببتُها

أردت أن تكونَ لي

حبيبتي وأمي..

من كلِّ قلبي أشتهي

لو تصبحين أمي..

- ٣٢ -

جميعُ ما قالوه عني .. صحيحْ

جميعُ ما قالوه عن سُمعتي

في العشقِ والنساءِ . قولٌ صحيحْ

لكنهم لم يعرفوا أنني

أنزف في حبِّك مثلَ المسيحْ

- ٣٣ -

يحدث أحياناً أن أبكي

مثلَ الأطفالِ بلا سبب

يحدث أن أسأمَ من عينيك الطيبتين

بلا سببْ..

يحدث أن أتعبَ من كلماتي..

من أوراقي .. من كتبي

يحدثُ أن أتعبَ من تعبي..

- ٣٤ -

عيناك مثل الليلةِ الماطرهْ

مراكبي غارقةٌ فيها..

كتاباتي منسيةٌ فيها..

إن المرايا ما لها ذاكرهْ..

- ٣٥ -

كتبت فوقَ الريح
اسمَ التي أحبُّها
كتبتُ فوقَ الماءْ
لم أدرِ أن الريح
لا تُحْسِن الإصغاء
لم أدرِ أن الماءْ
لا يحفظ الأسماءْ..

- ٣٦ -

ما زلت يا مسافرهْ
ما زلت بعد السنة العاشرهْ
مزروعةً كالرمح في الخاصرهْ

- ٣٧ -

كرمال هذا الوجهِ والعينينِ

قد زارنا الربيعُ هذا العام مرتينِ

وزارنا الفرحُ مرتين

- ٣٨ -

أهطلُ في عينيْك كالسحابهْ

أحمل في حقائبي إليهما

كنزاً من الأحزانِ والكآبهْ

أحملُ ألفَ جدول

وألفَ ألف غابهْ

وأحمل التاريخ تحت معطفي

وأحرف الكتابهْ

- ٣٩ -

أروعُ ما في حبِّنا أنه

ليس له عقلٌ ولا منطقُ

أجمل ما في حبنا أ نه

يمشي على الماءِ ولا يغرقُ

- ٤٠ -

لا تقلقي .. يا حلوةَ الحلواتِ

ما دمتِ في شعري وفي كلماتي

قد تكبرين مع السنين .. وإنما

لم تكبري أبداً .. على صفحاتي

- ٤١ -

ليس يكفيك أن تكوني جميلهْ

كان لا بد من مرورِك يومًا

بذراعي..
كي تصيري جميلهْ

- ٤٢ -

وكلما سافرتُ في عينيْك يا حبيبتي
أحس أني أركبُ سجادةً سحريهْ
فغيمةٌ ورديةٌ ترفعني
وبعدها .. تأتي البنفسجيهْ
أدور في عينيْك يا حبيبتي
أدور مثل الكرة الأرضيهْ..

- ٤٣ -

كم تشبهين السمكهْ
سريعةٌ في الحبِّ .. مثلَ السمكهْ
جبانةٌ في الحبِّ .. مثلَ السمكهْ

قتلتِ ألفَ امرأةٍ .. في داخلي

وصرتِ أنت الملكهْ..

- ٤٤ -

أ ني رسولُ الحب..

أحملُ للنساءِ مفاجآتي

لو أ نني بالخمرِ .. لم أغسلْهما

نهداكِ .. ما كانا على قيدِ الحياةِ

فإذا استدارت حلمتاكِ

فتلك أصغر ُمعجزاتي..

- ٤٥ -

أجملُ ما فيك هو الجنونْ

أجملُ ما فيك - إذا سمحتِ لي -

خروجُ نهديْك على القانونْ..

- ٤٦ -

تعرِّي .. فمنذُ زمانٍ طويل

على الأرضِ لم تسقطْ المعجزاتْ

تعري .. تعري

أنا أخرس

وجسمُك يعرفُ كلَّ اللغاتْ

- ٤٧ -

كان نهداك .. في العصورِ الخوالي

ينشدان السلامَ مثلَ الحمامهْ

كيف ما بين ليلةٍ وضُحاها

صار نهداك .. مثلَ يومِ الندامهْ؟

- ٤٨ -

ضعي أظافرَك الحمراءَ .. في عنقي

ولا تكوني معي شاةً .. . ولا حَملا
وقاوميني ، بما أوتيتِ من حِيَلٍ
إذا أتيتُك كالبركانِ . مشتعلا
أحلى الشفاهِ التي تعصي .. وأسوأُها
تلك الشفاه التي دوماً تقول : بلى

- ٤٩ -

كم تغيرتِ بينَ عامٍ وعامٍ
كان همي أن تخلعي كلَّ شيء
وتظلي كغابةٍ من رخامِ
وأنا اليومَ لا أريدك إلا
أن تكوني .. إشارةَ استفهامِ

- ٥٠ -

..وكلما إن فصلت عن واحدة

أقول في سذاجةٍ:
سوف تكون المرأةَ الأخيرة
والمرةَ الأخيرة..
وبعدها .. سقطت في الغرام ألف مرة
ومتُّ ألف مرة..
ولم أزلْ أقولُ:
تلك المرة الأخيرة..

- ٥١ -

عبثاً ما أكتبُ سيدتي
إحساسي أكبرُ من لغتي
وشعوري نحوَك يتخطَّى
صوتي .. يتخطى حنجرتي
عبثاً ما أكتبُ .. ما دامتْ

كلماتي .. أوسعُ من شفتي

أكرهها كل كتاباتي

مشكلتي أ نك مشكلتي

- ٥٢ -

لأن حبي لك فوقَ مستوى الكلامْ

قررت أن أسكتَ..

والسلامْ..

***





نزار قباني

# بلقيس



## ((بلقيس))

شكراً لكمْ
شكراً لكُمْ
فحبيبتي قُتلتْ
وصار بوسعِكمْ
أن تشربوا كأساً على قبرِ الشهيدهْ

وقصيدتي اغتيلتْ
وهل من أمةٍ في الأرضِ
إلا نحنُ.. تغتالُ القصيدهْ

بلقيسُ..

كانتْ أجملَ الملكاتِ في تاريخِ بابلْ

بلقيسُ..

كانت أطولَ النخلاتِ في أرضِ العراقْ

كانتْ إذا تمشي..ترافِقها طواويسٌ

وتتبعُها أيائِلْ

بلقيسُ يا وجَعي

يا وجعَ القصيدةِ حينَ تلمسُها الأناملْ

هل يا تُرى..

من بعدِ شَعْركِ سترتفعُ السنابلْ؟

يا نينوىَ الخضراءْ

يا غجريتي الشقراءْ
يا أمواجَ دجلةَ
تلبسُ في الربيعِ بساقها
أحلى الخلاخلْ
قتلوكِ يا بلقيسُ
أيةُ أمةٍ عربيةٍ
تلكَ التي..
تغتالُ أصواتَ البلابلْ؟؟

أينَ السموأَلُ..والمهلهلُ؟؟
والغطاريفُ الأوائلْ؟

فقبائلٌ أكلتْ قبائلْ

وثعالبٌ قتلتْ ثعالبْ
وعناكبٌ قتلتْ عناكبْ

قسَماً بعينيكِ اللتين إليهما
تأوي ملايينُ الكواكبْ
سأقولُ -يا قمري- عن العربِ العجائبْ
فهلِ البطولةُ كِذبَةٌ عربيةٌ؟
أمْ مِثلُنا التاريخ كاذِبْ؟..

بلقيسُ
لا تتغيبي عني
فإن الشمسَ بعدَكِ.. لا تضيءُ على السواحلْ

سأقولُ في التحقيق:
إن اللصَّ أصبحَ يرتدي ثوبَ المُقاتِلْ
وأقولُ في التحقيق:
إن القائدَ الموهوبَ أصبحَ كالمُقاولْ
وأقولُ:
إن حكايةَ الإشعاعِ أكبرُ كِذبةٍ قيلتْ
فنحنُ قبيلةٌ بينَ القبائلْ
هذا هوَ التاريخُ يا بلقيسْ
كيفَ يميّز الإنسانُ
بينَ الحدائِقِ والمزابِلْ

بلقيسُ
أيتها الشهيدةُ..والقصيدةُ

والمعطّرة النقيهْ
سبأٌ تفتشُ عن مليكتِها
فردّي للجماهير التحيهْ

يا أعظمَ الملكاتِ
يا امرأةً تُجسِّدُ كلَّ أمجادِ العصور السومريهْ
بلقيسُ..يا عصفورتي الأحلَى
ويا أيقونتي الأغلَى
ويا دمعاً تناثرَ فوقَ خدِّ المجدليّهْ
أترى ظلمتُكِ إذ نقلتكِ.. ذاتَ يوم
من ضفافِ الأعظميهْ
بيروتُ تقتلُ كلَّ يومٍ واحدا منا
وتبحثُ كلَّ يومٍ عن ضحيّهْ

والموتُ في فنجانِ قهوتِنا

وفي مفتاحِ شقتنا

وفي أزهارِ شرفتنا

وفي أوراقِ الجرائدِ..والحروفِ الأبجديّهْ

ها نحنُ يا بلقيسْ

ندخلُ مرّةً أخرى..لعصر الجاهليّهْ

ها نحنُ ندخلُ في التوَحش

والتخلفِ والبشاعةِ والوضاعةِ

ندخلُ مرّةً أخرى..عصورَ البربريّهْ

حيثُ الكتابةُ رحلة

بين الشظيّة والشظيّة

حيثُ اغتيالُ فراَشةٍ في حقلها

صار القضيّهْ

هل تعرفونَ حبيبتي بلقيس؟
فهي أهمُّ ما كتبوهُ في كتبِ الغرامْ

كانت مزيجا رائعا
بينَ القطيفةِ..والرّخامْ
كان البنفسجُ بينَ عينيها..ينامُ ولا ينامْ
بلقيسُ يا عِطراً بذاكرتي
ويا قبراً يُسافِرُ في الغمامْ
قتلوكِ، في بيروتَ، مثلَ أيّ غزالةٍ
من بعدِ ما قتلوا الكلامْ..

بلقيسُ..
ليستْ هذهِ مرثيةٌ
لكنْ..
على العربِ السلامْ

بلقيسُ
مشتاقونَ .. مشتاقونَ.. مشتاقونْ..
والبيتُ الصغيرْ..
يسأُل عن أميرتهِ المعطرةِ الذيولْ
نصغي إلى الأخبارِ..والأخبارُ غامضةٌ
ولا تروي فضولْ..
بلقيسُ..مذبوحونَ حتى العظمِ
والأولادُ لا يدرونَ ما يجري..

ولا أدري أنا ماذا أقولْ؟

هل تقرعينَ البابَ بعدَ دقائق ؟؟
هل تخلعينَ المعطفَ الشتويَّ؟؟
هل تأتينَ باسمةً..وناضرةً..كأزهارِ الحقولْ؟؟
بلقيسُ إن زروعَكِ الخضراءَ
ما زالت على الحيطانِ باكيةٌ
ووجهكِ لم يزلْ متنقلاً
بينَ المرايا والستائرْ
حتى سجارتكِ التي أشعلتِها..
لم تنطفىءْ..
ودُخانُها
ما زالَ يرفضُ أن يُسافرْ

بلقيسُ..

مطعونونَ مطعونونَ في الأعماقْ
والأحداقُ يسكنها الذهولْ
بلقيسُ..كيف أخذتِ أيامي وأحلامي
وألغيتِ الحدائقَ والفصولْ؟؟

يا زوجتي
وحبيبتي وقصيدتي..وضياءَ عَيْنَيْ
قد كنتِ عصفوري الجميل
فكيفَ هربتِ يا بلقيسُ مني؟

بلقيسُ..هذا موعدُ الشاي العراقيّ المعطرْ
والمعتَّقِ كالسلافَهْ
فمن الذي سيوزعُ الأقداحَ أيتها الزرافهْ
ومن الذي نقلَ الفراتَ لبيتنا
وورودَ دجلةَ والرصافهْ؟

بلقيسُ..

إن الحزنَ يثقبني
وبيروتُ التي قتلتْكِ..لا تدري جريمتَها
وبيروتُ التي عشقَتْكِ
تجهلُ أنها قتلتْ عشيقتَها
وأطفأتْ القمرْ

بلقيسُ..

يا بلقيسُ..يا بلقيسْ
كلُّ غمامةٍ تبكي عليكِ
فمنْ ترى يبكي عليّا
بلقيسُ كيفَ رحلتِ صامتةً
ولم تضعي يديكِ على يديّا؟
بلقيسُ كيفَ تركتِنا في الريح
نرجفُ مثلَ أوراقِ الشجرْ
وتركتنا-نحنُ الثلاثةَ-ضائعينْ
كريشةٍ تحتَ المطرْ..

أتراكِ ما فكرتِ بي
وأنا الذي يحتاجُ حبُّكِ..مثلَ (زينبَ) أو( عمرْ )
بلقيسُ يا كنزا خرافيا..ويا رمحا عراقيا
وغابةَ خيزرانْ

يا من تحديتِ النجومَ ترفُّعا
من أينَ جئتِ بكلّ هذا العنفوانْ؟

بلقيسُ

تذبحني التفاصيلُ الصغيرةُ في علاقتِنا
وتجلدني الدقائقُ..والثواني

فلكلِّ دبوسٍ صغيرٍ قصةٌ
ولكلّ عِقدٍ..من عقودِكِ..قصتانِ

حتى ملاقطُ شعرِكِ الذهبيّ
تغمرني كعادتِها..بأمطار الحنانِ
ويُعرّشُ الصوتُ العراقيُّ الجميلُ
على الستائرِ..والمقاعدِ..والأواني
ومن المرايا تطلعينْ
من الخواتمِ تطلعينْ
من القصيدةِ تطلعينْ
من الشموع..من الكؤوسِ
من النبيذِ الأرجواني..

بلقيسُ يا بلقيسْ
لو تدرينَ ما وجعُ المكانِ..
في كلّ ركن ..أنتِ حائمةٌ كعصفورٍ
وعابقةٌ كغابةِ بيلسانِ..

فهناكَ كنتِ تدخنينْ
هناكَ كنتِ تطالعينْ
هناكَ..كنتِ كنخلةٍ تتمشطينْ
وتدخلينَ على الضيوفِ
كأنكِ السيفُ اليماني

بلقيسُ.. أين زجاجةُ الغيرلان
والولاعةُ الزرقاء؟

أين سيجارةُ الـ(كنتِ) التي ما فارقت شفتيكِ
أينَ الهاشميُّ مغنيا
فوقَ القوامِ المهرجانِ
تتذكرُ الأمشاطُ ماضيها..فيخرجُ دمعُها
هل يا تُرى الأمشاطُ من أشواقِها..أيضا تعاني؟

بلقيسُ..

صعبٌ أن أهاجرَ من دمي
وأنا المحاصرُ بينَ ألسنةِ اللهيبِ
وبينَ ألسنةِ الدُّخانِ

بلقيسُ:

أيتها الأميرهْ
ها أنتِ تحترقينَ..في حربِ العشيرةِ والعشيرهْ
ماذا سأكتبُ عن رحيلِ مليكتي؟
إنّ الكلامَ فضيحتي
ها نحن نبحثُ بينَ أكوامِ الضحايا
عن نجمةٍ سَقطتْ
وعن جسدٍ تناثرَ كالمرايا
ها نحنُ نسألُ يا حبيبهْ
إن كانَ هذا القبرُ قبركِ أنتِ..أم قبرُ العروبهْ

بلقيسُ

يا صفصافةٌ أرخت ضفائرَها عليَّ
ويا زرافة كبرياءْ

بلقيسُ

إن قضاءَنا العربيَّ أن يغتالنا عربٌ
ويأكل لحمنا عربٌ..ويفتحَ قبرَنا عربٌ
فكيفَ نفرُّ من هذا القضاءْ؟
فالخنجرُ العربيُّ ليسَ يقيمُ فرقا
بين أعناق الرجالِ..وبينَ أعناقِ النساءْ

بلقيسُ..

إن همْ فجروكِ..فعندنا
كلُّ الجنائز تبتدي في كربلاءْ
وتنتهي في كربلاءْ
لن أقرأ التاريخَ بعدَ اليوم
إن أصابعي اشتعلتْ
وأثوابي تغطيها الدماءْ
ها نحن ندخلُ عصرَنا الحجريّ
نرجعُ كلَّ يومٍ..ألفَ عامٍ للوراءْ

البحر في بيروت
بعدَ رحيلِ عينيكِ..استقالْ

والشِّعرُ يسأَلُ عن قصيدَتهِ..التي
لم تكتملْ كلماتُها..ولا أحدٌ
يجيبُ على السؤالْ

الحزنُ يا بلقيسُ
يعصرُ مهجتي كالبرتقالَهْ
الآنَ..أعرفُ مأزقَ الكلماتِ
وأعرفُ ورطة اللغةِ المحالهْ
وأنا الذي اخترع الرسائلَ..لستُ أدري
كيفَ أبتدئُ الرسالهْ

السيفُ يدخلُ لحمَ خاصرتي
وخاصرةِ العبارهْ

كلُّ الحضارةِ..أنت يا بلقيسُ..والأنثى حضارهْ

بلقيسُ

أنتِ بشارتي الكبرى
فمن سرقَ البشارهْ؟
أنت الكتابةُ قبلما كانت كتابهْ
أنت الجزيرةُ..والمنارهْ

بلقيسُ

يا قمري الذي طمروهُ ما بينَ الحجارهْ
الآن ترتفعُ الستارهْ

الآن ترتفعُ الستارهْ

سأقولُ في التحقيقِ
إني أعرف الأسماءَ والأشياءَ والسجناءَ
والشهداءَ..والفقراءَ..والمستضعفينْ

وأقول أني أعرفُ السيافَ..قاتلَ زوجتي
ووجوهَ كلّ المخبرينْ

وأقولُ إن عفافَنا عهرٌ
وتقوانا قذارهْ
وأقول: إن نضالنا كذبٌ
وأن لا فرقُ..بين السياسةِ والدعارهْ

سأقولُ في التحقيق

إني قد عرفت القاتلينْ

وأقول إن زمانَنا العربيَّ مختصٌّ بذبحِ الياسمين

وبقتل كلِّ الأنبياءِ

وقتل كلِّ المرسلينْ

حتى العيونُ الخضرُ

يأكلُها العربْ

حتى الضفائرُ والخواتمُ

والأساورُ والمرايا..واللُّعَبْ

حتى النجومُ تخافُ من وطني
ولا أدري السببْ

حتى الطيورُ تفرُّ من وطني
ولا أدري السببْ
حتى الكواكبُ والمراكبُ والسحبْ
حتى الدفاترُ والكتبْ
وجميعُ أشياءِ الجمال
جميعُها ضدّ العربْ

لماذا تناثرَ جسمُكِ الضوئيُّ..يا بلقيسُ
لؤلؤةً كريمهْ
فكرتُ..هل قَتْلُ النساءِ هوايةٌ عربيةٌ

أم أننا في الأصلِ..محترفو جريمهْ؟؟

بلقيسُ..

يا فرسي الجميلةَ..إنني
من كلِّ تاريخي خجولْ
هذي بلادٌ يقتلون بها الخيولْ
هذي بلادٌ يقتلون بها الخيولْ
من يوم أن نحروكِ.. يا بلقيسُ
يا أحلى وطنْ
لا يعرفُ الإنسانُ كيف يعيشُ في هذا الوطنْ
لا يعرفُ الإنسانُ كيف يموتُ في هذا الوطنْ

ما زلتُ أدفعُ من دمي..أعلى جزاءْ
كي أسعدَ الدنيا..ولكنَّ السماءْ
شاءت بأن أبقى وحيداً..
مثلَ أوراقِ الشتاءْ

هل يولدُ الشعراءُ من رحمِ الشقاءْ؟؟
وهل القصيدةُ طعنةٌ..في القلبِ
ليسَ لها شِفاءْ؟
أم أنني وحدي الذي
عيناهُ تختصران تاريخَ البكاءْ؟

سأقولُ في التحقيق
كيفَ غزالتي ماتتْ بسيفِ أبي لهبْ

كلّ اللصوصِ من الخليجِ إلى المحيطِ
يدمرونَ..ويحرقونَ
وينهبونَ..ويرتشونَ
ويعتدونَ على النساءْ
كما يريدُ أبو لهبْ

كلُّ الكلابِ موظفونْ
ويأكلونَ..ويسكرونْ
على حسابِ أبي لهبْ

لا قمحةٌ في الأرض..تنبتُ
دون رأي أبي لهبْ
لا طفلَ يولدُ عندنا

إلا وزارت أمه..يوما فراشَ أبي لهبْ
لا سجنَ يُفتحُ..دونَ رأي أبي لهبْ
لا رأسَ يُقطعُ..دونَ أمر أبي لهبْ

سأقولُ في التحقيق:
كيفَ أميرتي اغتُصبتْ
وكيفَ تقاسموا فيروزَ عينيها
وخاتمَ عرسِها
وأقولُ كيف تقاسموا الشعر الذي يجري..كأنهارِ الذهبْ

سأقولُ في التحقيق
كيف سطوا على آياتِ مصحفِها الشريفِ
وأضرموا فيهِ اللهبْ

سأقولُ كيفَ استنزفوا دمَها..وكيفَ استملكوا فمَها
فما تركوا بهِ وردا..ولا تركوا عنبْ

هل موتُ بلقيسَ..هو النصرُ الوحيدُ
بكلِّ تاريخِ العربْ؟

بلقيسُ..

يا معشوقتي حتى الثمالهْ
الأنبياءُ الكاذبونَ
يقرفصون..ويكذبونَ على الشعوبِ
ولا رسالهْ

لو أنهم حملوا إلينا..من فلسطينَ الحزينهْ
نجمةً..أو برتقالهْ

لو أنهم حملوا إلينا..من شواطىءِ غزةٍ
حجراً صغيراً..أو محارهْ

لو أنهم مَن ربع قرن..حرروا زيتونةً
أو أرجعوا ليمونةً..ومحوًا عن التاريخ عارهْ

لشكرتُ من قتلوكِ يا بلقيسُ
يا معبودتي حتى الثمالهْ
لكنهم تركوا فلسطيناً..ليغتالوا غزالهْ

ماذا يقولُ الشعرُ يا بلقيسُ في هذا الزمانِ؟
ماذا يقولُ الشعرُ..في العصرِ الشعوبيُّ
المجوسيُّ..
الجبانِ..

والعالمُ العربيّ..مسحوقٌ
ومقموعٌ..ومقطوعُ اللسانِ
نحنُ الجريمةُ في تفوُّقِها..فما (العقدُ الفريدُ)
وما (الأغاني)؟؟

أخذوكِ أيتها الحبيبةُ من يدي
أخذوا القصيدةَ من فمي

أخذوا الكتابةَ والقراءةَ
والطفولةَ والأماني

بلقيسُ يا بلقيسْ

يا دمعاً يُنقط فوقَ أهدابِ الكمانِ
علَّمْتُ من قتلوكِ أسرارَ الهوى
لكنهم..قبلَ انتهاءِ الشَّوْطِ
قد قتلوا حصاني

أسألكِ السماحَ..فربما
كانتْ حياتُكِ فديةً لحياتي

إني لأعرفُ جيدًا..
أن الذينَ تورطوا
في القتلِ كان مُرادُهمْ
أن يقتلوا كلماتي

نامي بحفظِ اللهِ أيتها الجميلهْ
فالشعرُ بعدَكِ مستحيلٌ
والأنوثةُ مستحيلهْ

ستظلُّ أجيالٌ من الأطفالِ
تسأَلُ عن ضفائِركِ الطويلهْ
وتظلّ أجيالٌ من العشاقِ تقرأ عنكِ أيتها المعلمةُ
الأصيلهْ

وسيعرفُ الأعرابُ يوماً..أنهمْ

قتلوا الرسولهْ
قتلوا الرسولهْ
ق.. ت.. ل.. و.. ا
ا ل.. ر.. س.. و.. ل.. هْ

***

